أساليب الجملة في تراث أئمة أهل البيت [ع]

(دراسة نقدية وبلاغية)

محمدحسن محصومي*

الملخص

اساليب الجملة أو ما يُطلق عليها في البلاغة العربيّة التقليدية بالمعاني الثواني، فن من الفنون التي لاتستغني عنها النصوص الأدبية، كونها تعمق المعنى في المتلقي و تزيد النص روعة و أبّهة. و في هذا السياق بادر أئمة أهل البيت (ع) الى استخدام و توظيف هذه الأساليب للغرض الديني و نشر ثقافة السماء، اذ راحوا يتفنّنون فيها، حتّى أصبح لكلمتهم المثل في الروعة و الطلاوة في هذا الحقل. و ترمي هذه المحاولة الى كشف جانب ضئيل من هذه الأساليب المستخدمة في رواياتهم و ذلك للتأكيد على هذه الحقيقة أنّ هؤلاء الراسخين في العلم هم القدوة في العمل الأدبي الراقي، سواءً في المجال الذي عالجناه في هذه المقالة أم في سواها من النّصوص.

الكلمات المفتاحية: الأسلوب، الانتاج الأدبي الناهكم، تعميق الدّلالة.

المقدمة

أساليب الجملة هي ما يُصطلح عليها في البلاغة العربية القديمة و تحديداً في علم المعاني ؛«المعاني الثواني» و يعبّر عنها في البلاغة الحديثة «الانتهاك أو انحراف الجملة

---

*. استاذ مساعد ـ جامعة آزاد الأسلامية ـ قم (عضو هيئت علمي دانشگاه آزاد قم)

عن نسقها المثالي الذّي يمثّل الطاقات الايحائية في الأسلوب» و توظّف هذه الأساليب في النص الأدبي بكثافة نظراً لايحاء اتها الفنية، و من هنا يتم استخدام هذه الأساليب في الأدب الديني عامة و الأدب الاسلامي حيث تتمثل في تعميق الدّلالات الروحية على المستويين العقائدي و السلوكي و يُميّزُ به الأدب الملتزم عن الأدب غيرالملتزم أو الملتزم بعقائد غير دينية، و في هذا السياق يوظّف القرآن و العترة الطاهرة باعتبارها عِدل القرآن اساليبَ الجملة بطريقة بلاغية معينة، حيث يُحشر فيها الشكل و المضمون حشراً في بوتقة واحدة فتزول بينهما ثنائية المعنى و المبنى لتتحدا في الواقع العيني المتمثل في النص و الواقع الذهني الحاضر في وجدان المتلقي. ولكي نثبت ما نذهب اليه من ادعاء نأتي في هذه المقالة بنماذج من هذه الأساليب التي يتم استثمارها في الأدب الاسلامي الملتزم و بوجه خاص في الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت (ع) اذ لهم باعٌ طويلٌ في هذا الميدان حيث يستخدمون اساليب الجملة في اشكالها المتنوعة ببراعة نادرة لاقناع المخاطب بالفكرة و ارضائه فنياً و جمالياً و ها هي بعض تلك الأساليب من خلال روايات الأئمة المعصومين عليهم السلام.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی

الأسلوب العلمي المتأدب

يتميّز هذا الأسلوب، بكونه علمياً وصفياً و أدبياً في ذات الوقت، فقول الامام علي بن أبي طالب (ع) في نهج البلاغة: «الغيبةُ جُهد العاجز» (باب الحكم، الحكمة ٢٦١). يمكن اعتباره اسلوباً علمياً متأدباً لأنّه يكشف عن واقع علمي يتعلق بنفسية الانسان، فالغيبة مرض نفسيٌ يسببه عجز المغتاب و ضعفه في المواجهة المباشرة مع من يغتابه، و العجز و الضعف منقصتان، ثمّ انّه أدبيٌ لأنّه يستنكر ضمناً ظاهرة الاغتياب بصفتها حالة مرضية تُشيع في المجتمع روح التشاؤم و الكراهية، و ثمّة ائتلاف في هذا الأسلوب بين الشكل و المضمون؛ لأنّ المادة علمية أخلاقية و كذلك الشكل فهو أيضاً أدبي علمي.

و لهذا الأسلوب ظهور آخر يتمثل في اضفاء اللون الموسيقي على المضمون العقائدي؛

و نماذج ذلك كثيرة في النصوص الكلامية المنقولة عن الأئمة (ع) نحو قول الامام الرضا حينما طُلِبَ منه أن يصف الربّ ـ سبحانه و تعالى ـ تقول الرواية: «قام رجلٌ الى الرضا (ع) و قال له: يا ابن رسول اللّه! صف لنا ربّك! فانّ من قبلنا قد اختلفوا علينا.

فقال الرضا (ع): انّه من يصف ربّه بالقياس لايزال الدهر في الالتباس، مائلاً عن المناهج، ظاعناً[1] في الاعوجاج، ضالاً عن السبيل، قائلاً غيرجميل، أعرّفه بما عرّف به نفسه من غير رويّة و أصفه بما وصف به نفسه من غير صورة لايُدرك بالحواس، و لايقاس بالناس، معروف بغير تشبيه و متدان في بعده لاينظير، لايُمثّل بخليقته، و لايجوز في قضيّته، الخلق الى ما علم متقادون، و على ما سطر في المكنون من كتابه ماضون، لايعلمون خلاف ما علم منهم و لاغيره يريدون، فهو قريب غيرملتزق[2]، و بعيدٌ غير متقص، يُحقّق ولا يُمثّل، و يُوحّد ولايُبعّض، يُعرفُ بالآيات و يُثبت بالعلامات، فلا اله غيره الكبير المتعال». (المجلسي، ١٤٠٣، ج ٣، ص ١٣)

فالنغمة السائدة على أجواء النص التي تتمثل في سجع و جناس و توازن هي من مظاهر الموسيقى الخارجية؛ كما أن هناك تناغماً بين اللفظ و المعنى في كثير من العبارات، و هذا التناغم هو ما يصطلح عليه البلاغيون بائتلاف اللفظ مع المعنى و يعبّر عنه المعاصرون بـ«الموسيقى الداخليّة». هذا فيما يتعلق بالشكل البلاغي، أما المضمون فهو عقائدي كلامي يعالجه الامام (ع) معالجة منطقية عقلية، حيث يجمع بين الأدبية و العلمية: الأدبية في الشكل الخارجي و العلمية في مضمونه و محتواه.

أسلوب الخبر القصصي

قد أبدع الأئمة (ع) في باب الخبر القصصي الكثير، نذكر منها هذه الرواية: عن جعفربن محمد، عن آبائه ـ صلوات اللّه عليهم ـ قال: «قال رسول اللّه (ص): ان السخاء شجرة من

---

١. سائر.
٢. متصل، متلاصق.

أشجار الجنة، لها أغصان متدلية في الدنيا، فمن كان سخياً، تعلّق بغُصنٍ من أغصانها، فساقه ذلك الغصن الى الجنّة. والبخل شجرة من أشجار النار لها أغصان متدلية في الدنيا، فمن كان بخيلاً، تعلّق بغصن من أغصانها، فساقه ذلك الغصن الى النار».(نفس المصدر، ج ۶۸، ص ۳۵۲)

انّ فكرة النص هي تجميل السخاء و تقبيح البخل، و بالتالي الترغيب في الأوّل و التحذير عن الثاني عبرخبر قصصي جرى على لسان المعصوم (ع)، حيث صوّر السخاء شجرة طيبة و البخل شجرة خبيثة، ليثير الدهشة و العجب في السامع لعلّه يُدرك مغزى هذين المفهومين.

أسلوب الحوار القصصي

يُعدّ الحوار من أهم الأساليب الفنية في التعبير، لذلك يحتل مساحة ضخمة في نصوص القرآن الكريم، خاصة في النصوص القصصية. و هكذا بين أيدينا كثيرٌ من الروايات تمّ فيها استخدام حوارات قصصية لأغراض أخلاقية؛ منها الروايتين التاليتين: يقول الامام (ع): «يؤتى بالمرأة الحسناء يوم القيامة التي قد اُفتتنت في حسنها، فتقول: يا ربّ! حسّنت خلقي حتى لقيت ما لقيت. فيُجاء بمريم (ع) فيقال: أنت أحسن أو هذه؟ حسّناها، فلم تُفتتن. و يجاءُ بالرجل الحسن الذي قد افتُتِنَ في حسنه فيقول: يا ربّ أحسنت خلقي حتّى لقيت من النساء ما لقيت، فيُجاء بيوسف (ع) فيقال: أنت أحسن أو هذا؟ قد حسّناه، فلم يُفتتن. و يُجاء بصاحب البلاء الذي قد أصابته الفتنة في بلائه فيقول: يارب! سددت عليّ البلاء حتى افتُتنتُ، فيجاء بأيّوب (ع) فيقال: أبليتك أشدّ أو بلية هذا؟فقد ابتُلي فلم يُفتتن».(الكليني، ۱۴۱۳ (أ)، ج ۸، ص ۲۸۸)

فقد أدار الامام هنا حواراً قصصياً واقعياً مستقبلياً ذا مضونٍ أخلاقي يوجّه المخاطب توجيهاً تربوياً.

و في رواية أُخرى: «يؤتى بأحد يوم القيامة يوقف بين يدي اللّه و يدفع اليه كتابه فلا

يرى حسناته فيقول: الهي ليس هذا كتابي! فانّي لا أرى فيه طاعتي؟! فيقال له: انّ ربّك لا يضلّ و لا ينسى، ذهب عملك باغتياب النّاس. ثمّ يؤتى بآخر و يدفع اليه كتابه، فيرى فيه طاعات كثيرة، فيقول: الهي ما هذا كتابي! فانّي ما عملت هذه الطّاعات!

فيقال: لأنّ فلاناً اغتابك فدفعت حسناته اليك». (المجلسي، ١٤٠٣، ج ٧٥، ص ٢٤١)

و قد تمّ هنا التحذير من الاغتياب باعتباره خلقاً منهياً عنه عبر أسلوب الحوار القصصي باعتباره اسلوباً له طلاوته و بالتالي تأثيره الخاص في وجدان المخاطب.

أسلوب الحوار الرمزي

قد يستثمر الامام (ع) الحوار الرمزي وسيلة لتعميق الدّلالة فقد يريد التذكير بالدّور الخطير لظاهرة معينة أو التحذير من سلوك معين كما نلحظ في الروايتين التاليتين: «انّ لسان ابن آدم يشرف كلّ يوم على جوارحه فيقول: كيف أصبحتم، فيقولون بخير ان تركتنا، و يقولون: اللّه اللّه فينا! و يناشدونه و يقولون: انّما نثاب بك و نعاقب بك». (الكليني، ١٤١٣ ب، ج ٢، ص ١١٥)

و عن علي (ع) قال: «هبط جبرئيل على آدم، فقال يا آدم انّي أمرت أن أخيّرك واحدة من ثلاث فاخترها ودع اثنتين، فقال له آدم: يا جبرئيل و ما الثلاث؟ فقال: العقل و الحياء و الدّين، فقال آدم: فاني اخترت العقل فقال جبرئيل للحياء و الدّين انصرفا و دعاه، فقالا يا جبرئيل انّا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان، قال فشأنكما و عرج». (الحر العاملي، ١٤١٢، ج ١١، ص ١٦٠)

من الواضح أن الرمز هنا يلعب دوراً مهماً في تعميق الدّلالة المقصودة.

أسلوب الحوار غير المباشر

قد يفترض الامام (ع) في واقعه مخاطباً ثمّ يوجّه اليه الخطاب و ذلك كقول أمير

المؤمنين علي (ع) في نهج البلاغة، حينما يخاطب الدنيا قائلاً: «...اَلَيْك عَنِّي[۱] يَـادُنْيَا، فَحَبْلُك عَلَى غَارِبِك[۲] قَدِ انْسَلَلْتُ مِنْ مَخَالِبِكِ[۳]، وَأَفْلَتُ مِنْ حَبَائِلِكِ، وَاجْتَبَبْتُ الذَّهَابَ فِي مَدَاحِضَكِ[۴]، أَيْنَ الْقُرُونُ الَّذِينَ غَرَرْتِهِمْ بِمَدَاعِبِكِ! أَيْنَ الْأُمَمُ الذينَ فَتَنْتِهِمْ بِزَخَارِفِكِ! فَهَا هُمْ رَهَائِنُ الْقُبُورِ، وَ مَضَامِينُ اللُّحُودِ[۵]. وَاللّهِ لَوْ كُنْتِ شَخْصاً مَرْئِيّاً، وَقَالَباً حِسِّيّاً، لَأَقَمْتُ عَلَيْك حُدُودَ اللّهِ فِي عِبَادٍ غَرَرْتِهِمْ بِالْأَمَانِي، وَأُمَمٍ أَلْقَيْتِهِمْ فِي الْمَهَاوِي، وَ مُـلُوك أَسْلَمْتِهِمْ اِلَى التَّلَفِ، وَأَوْرَدْتِهِمْ مَوَارِدَ الْبَلَاءِ، اِذْ لَا وِرْدَ[۶] وَ لَا صَدَرَ[۷]!...» (نهج البلاغه، باب الرسائل، رسالة ۴۵)

يقول الأُستاذ محمود البستاني في تحليلٍ له لهذه الخطبة: «...فالدنيا تمثل في واقعها رمزاً و مؤشراً للجانب الشهوي من الانسان و لذلك يمكن استبدالها بالنفس الشهوانية، و في الحالتين يظل هذا النمط من الحوار غير مباشر، لأنّه لايخاطب النفس مباشرة بل عن وراء قناع فني».(البستاني، لا. تا: ۲۴۲)

أسلوب الافتراض

قد لا يدرك المتلقي اهمية الفكرة التي يفترض أن يستوعبها، بينما يحرص مـرسل الفكرة على تعميقها و ترسيخ دلالتها في نفس هذا المتلقي، لذلك يـتفنن فـي اخـتيار الأساليب للوصول الى الغاية التي يرمي اليها مع الأخذ بعين الاعتبار التـركيب النـفسي للمخاطبين، و على هذا الأساس جاء اختيار هذا الأسلوب في القرآن و في أدب أئمة أهل البيت (ع): قال رسول اللّه (ص): «لو بغى جَبَلٌ على جبلٍ لَدُكّ البَاغي مِنهُما».(المجلسي، ۱۴۰۳، ج ۳، ص ۴۴۶) لاشك أن هذا الافتراض في قول رسول اللّه (ص) جاء ليؤكّد على مدى قبح الاعتداء و تأثيره السّيء على العلاقات الاجتماعية فجاء البيان مـن خـلال

---

۱. اذهبي عني.
۲. تمثيلٌ لتسريحها تذهب حيث شاءت.
۳. انسل من مخالبها: لم يعلق به شيءٌ من شهواتها.
۴. مساقطك و مزالقك.
۵. أي الذين تضمّنتهم القبور.
۶. ورود الماء
۷. الصدور عن الماء بعد الشرب.

اسلوب الاقتراض أوقع في النفس.

و قال علي (ع) «لو ضربت خيشوم[1] المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني ولو صببتُ الدّنيا بجمّاته[2] على المنافق على أن يحبني ما أحبني» (نهج البلاغة، باب الحكم، الحكمة ٤٥) ان الحب الشديد الذي يكنّه المؤمن ازاء امامه و العقد الأعمى الكامن في نفس المنافق نحوه جعلا الامام يبني مثل هذا الاقتراض الرائع الذي ان دلّ على شيء انّما يدلّ على عظمة مكانة الامام و شرف منزلته و موقف كلٍّ من الصالحين و الطالحين منه.

و من أروع الاقتراضات و أجملها ما دعا بها الامام السجاد (ع) في فقرة من دعاء يستقيل فيه من ذنوبه و يتضرع في طلب العفو عن عيوبه حيث يناجي ربّه قائلاً: «... يا الهي لو بكيتُ اليك حتّى تسقُطَ أشفارُ[3] عيني وانتحبتُ[4] حتّى ينقطع صوتي و قمتُ لك حتّى تتنشّر[5] قدماي و ركعتُ لك حتّى ينخلع صُلبي و سجدتُ لك حتّى تتفقّأ[6] حدقتاي و أكلت تراب الأرض طول عمري و شربت ماء الرّماد آخر دهري و ذكرتك في خلال ذلك حتّى يكلّ لساني ثمّ لم أرفع طرفي الى آفاق السّماء استحياءً منك؛ ما استوجبتُ بذلك محوَ سيئةٍ من سيّئاتي...». (الصحيفة السجادية، دعاء ١٦)

بعيداً عن الخصائص الفنية لهذا النص الأخّاذ و بعيداً عن تسلّلاته البلاغية و أدبيته السامية، بعيداً عن كل هذا و ذاك فان هذا الاقتراض يتمّ في مضمونه الرائي على طهارة نفس الداعي و عظمته الروحية و معرفته العميقة بربّه و بالتالي بذلّه أمامه.

أسلوب التقسيم

حسن التقسيم أسلوب قولي رفيع له جمالياته الفنية، و قد أخصب الأئمة (ع) به أدب الدين والدنيا كما نلاحظ في الرواية التالية: عن زرارة بن أوفى قال: دخلت على علي بن

---

١. أسفل الأنف.
٢. جمعها و حشرها.
٣. حدّ الجفن.
٤. بكيت عالياً.
٥. تتشقق.
٦. تخرج عيوني من حدقتيها.

الحسين (ع) فقال:«يا زارة! النّاس في زماننا على ست طبقات: أسدٌ و ذئبٌ وثعلبٌ، و كلبٌ، و خنزيرٌ و شاة.

فأما الأسد، فملوك الدنيا، يحب كل واحدٍ منهم أن يغلب و لايُغلب.

و أما الذّئب، فتجاركم يذمّون اذا اشتروا، و يمدحون اذا باعوا.

وأما الثعلب، فهؤلاء الّذين يأكلون بأديانهم، ولايكون في قلوبهم ما يصفون بألسنتهم.

وأما الكلب يهرّ[1] على الناس بلسانه و يكرهه الناس من شر لسانه.

أما الخنزير، فهؤلاء المخنثون[2] و أشباههم، لايُدعون لأيّ فاحشةٍ الا أجابوا.

وأما الشاة فالذين تُجزّ شعورهم، و يؤكل لحومهم و يُكسر عظمهم.

فكيف تصنع الشاة بين أسدٍ و ذئبٍ و ثعلبٍ و كلبٍ و خنزيرٍ؟(الشيخ الصدوق، لا. تا: ج ۱، ص ۱۶۵)

قَسّم (ع) الطبقات الاجتماعية الموجودة في تلك الفترة الى ستّ طبقات مشبّهاً كل طبقةٍ بحيوانٍ له صفة معروفة، فالأسد رمز القوة و الصراع لأجل السلطة، و الذئب رمز الاستغلال المادي، و الثعلب رمز الخداع و التضليل، و الكلب رمز الايذاء، و الخنزير رمز من يلهث وراء الشهوات، و الشاة رمز الطبقة المستضعفة التي لاحول لها و لاقوة و هي تعاني مرارة الحياة الناجمة عن السلوك الخاطي للخمسة الاخرين. هذا من ناحية الشكل الفني لهذا الأسلوب؛ أما فيما يتعلق بالمضمون الثّري لهذا النص، فيمكن القول انّه تم فيه نقد المجتمع و سلوك أصحاب المناصب فيه نقداً لاذعاً عبر تشبيه كل واحدٍ منهم بحيوان تغلب عليه طبيعة معينة. فقد يرمي وراء ذلك الى ايقاظ الوعي لدى أبناء المجتمع، لينتبهوا الى ما هم فيه من الوضع المتردي و يستوعبوا الواقع الاجتماعي الذي يعيشونه، فاعطاء هذا الوعي يأتي ضمن مسئولية الامام لأنّه يحمل أعباء الامامة؛ و هذا هو أحد مصاديق الأدب الملتزم، حيث يستخدم الامام (ع) الفن لأغراض اجتماعية لا لمجرد انتاج أدبي يخلو من

---

۱. ينبح.

۲. فاقدوا الرجولة.

القيم التربوية والأخلاقية: على أي فان النص يتضمن مضموناً اجتماعياً رائعاً يخدم الانسان في مسيرته التكاملية.

و من حسن التقسيم، قول الامام الصادق (ع) في مراتب القرآن الكريم، حيث قسم كتاب الله الى أربعة اشياء قائلاً: «كتاب الله ـ عزّوجلّ ـ على أربعة أشياء، على العبارة و الاشارة و اللطائف و الحقائق؛ فالعبارة للعوام و الاشارة للخواص و اللطائف للأولياء و الحقائق للأنبياء» (المجلسي، ١٤٠٣، ج ٩٨، ص ١٠٥). لاشك أنّ القارئ يتعامل مع النص حسب ثقافته، و لأنّ المستويات العلمية مختلفة فالانطباعات أيضاً مختلفة تبعاً لذلك فما يفهم العامي عن النص غير ما يفهمه العالم منه، و ما يلمحه الولي غير ما يعيه النبي و هكذا. فالتقسيم فنيّ و علميّ معاً يخدم ثقافة من يقرأ القرآن و يستنبط منه.

أسلوب الايجاز والاطناب

من المعروف أنّ الايجاز أو الاقتصاد اللغوي هو سمة لغة القرآن و من المعروف أيضاً أنّ قرسان هذا المضمار، هم الأئمة (ع) و آية ذلك، التراث الروائي الاسلامي الحافل بكمّ لا يُحصى من الحكم والأقوال و الأمثال الموجزة، أنجبتها بها الأئمة (ع) و قد شهد على قوة تلك الحكم و جمالها كثيرٌ من العلماء منهم الجاحظ الذي يقول في كتابه البيان و التبيين عن قول موجز لعلي بن أبي طالب (ع): «قال علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه: «قيمة كل انسان ما يُحسن». فلو لم نقف من هذا الكتاب الّا على هذه الكلمة لوجدناها كافية شافية، و مجزية مغنية، بل لوجدناها فاضلة على الكفاية، و غير مقصرة عن الغاية» (الكليني، ١٤١٣ ب، ج ٢، ص ٥٩٩) و ثمة ـ كما قلنا ـ عديدٌ من الأقوال الموجزة جرت على ألسن الأئمة (ع) منها العبارة الموجزة المكثّفة الدلالة التي قالها الامام الصادق (ع) واصفاً القرآن الكريم: «القرآن أنيقٌ[1] و باطنه عميق» (نهج البلاغة، باب الرسائل، الرسالة ٢٧)، فقد

---

١. حسن الترتيب.

أوجز الامام (ع) عظمة القرآن في جمال شكله و قوة مضمونه بعبارة شائقة وافية بالمعنى.

و من الاقتصاد اللغوي ما وصف به الامام علي (ع) النساء. حيث قال: «فانّهنّ ضعيفات القوى و الأنفس و العقول» (البستاني، لا.تا: ۱۱۴) يحلل الأستاذ محمود البستاني هذه العبارة و يقول: «... لا يمكن تحليل شخصية المرأة الّا من خلال سماتها الثلاث(الجسم، النفس، والعقل) بحيث اذا اقتصر على احدى السّمات أو الاثنين، يظلّ التحليل ناقصاً، نظراً لضعفهنّ الجسمي و لعدم النضج النفسي، و لعدم الاكتمال العقلي، فهذه السمات الثلاث هي استقطاب لكل سمات المرأة، يضاف الى ذلک، أنّه لا يمكن استقطاب السّمات السلبيه جميعاً الّا من خلال كلمة واحدة هي: «ضعيفات»؛ لأنّها تلخّص جميع التفصيلات المرتبطة بحالاتها الجسمية و حالاتها النفسية و حالاتها العقلية و هي حالات تتطلب كتابة عشرات الصفحات لتوضيح الضعف لديهنّ بينا اقتصد الامام في التعبير و جعله مضغوطاً في عبارة «الضعف» و عبارة: الأنفس و العقول و القوى». (المجلسی، ۱۴۰۳، ج ۳، ص ۴۱) .

أسلوب الاستفهام

تتسم أقوال الأئمة بالموضوعية و الواقعية و هي تنسجم في نفس الوقت مع مقتضى الحال و المقام، حيث يتطلب المقام استخدام أسلوب دون آخر، و من جملة هذه الأساليب أسلوب الاستفهام، فقد عبّروا به عن مقاصدهم باختصار و ايجاز كما نلاحظ في الخبر التالي: «سئل الصادق (ع) عن اللّه فقال للسائل: ياعبداللّه! هل ركبت سفينة قط؟

قال: بلى!

قال (ع): هل كسر بك حيث لا سفينة تُنجيك و لا سباحة تغنيک؟

قال: بلى!

قال (ع): فهل تعلق قلبك هناك أن شيئاً من الأشياء، قادرٌ على أن يخلّصك من

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی

ورطتك؟

قال: بلى!

قال (ع): فذلك الشيء، هو القادر على الانجاء حين لا منجي و على الاغاثة حيث لا مغيث». (نفس المصدر، ج ٧٢، ص ٣٢٩)

و هكذا يستثمر الامام الصادق (ع) طريقة فنية رائعة لايصال الطالب الى المقصود في معرفة التوحيد و ليؤكّد أن هناك الهاً يحكم العالم و يديره، و هذه الطريقة (أسلوب الاستفهام) هو الذي يجعل المخاطب مشاركاً في الفكرة.

أسلوب التهكم

التهكم مستوى من مستويات التعبير و هو في مصطلح علماء البيان عبارة عن اخراج الكلام على ضد مقتضى الحال استهزاءً بالمخاطب، و الموضوع الفني للتهكم هو ما تتطلبه طبيعة الموقف حيال المفارقات التي تصدر عن سلوك الانسان، و قد استعمل الأئمة (ع) هذا الأسلوب لأهداف تربوية كما نلاحظ في الحديث الآتي: «عن جميل قال: سألت أباعبدالله (ع) عن قول الله ـ عزّوجلّ ـ «فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى».

قال: قول الانسان: صلّيتُ البارحة، وصمتُ أمس و نحو هذا، ثم قال (ع): ان قوماً كانوا يُصبحون، فيقولون: صلّينا البارحة و صمنا أمس، فقال الامام (ع): لكني أنام الليل و النهار و لو أجد بينهما شيئاً لنمتُه». (المحمدي الريشهري، لا. تا، ج ٨، ص ٣٣٩-٣٤٠) و هذا توجيه تربوي تمّ عبر تهكم ناعم.

و احياناً يستثمر الامام (ع) اساليب الجملة لتعميق فكرة واحدة، كما نلاحظ مثلاً في مفهوم الكذب حيث يحذّرون منه بمختلف الاساليب البلاغية نظراً لخطورة تفشيه في المجتمع، و ها هي بعض تلك الأساليب:

١. **أسلوب الخبر الابتدائي**: «شرُّ القولِ الكذبُ». «أعظمُ الخطايا عندَاللّه اللّسانُ الكذّوب». «الكذبُ بابٌ من أبوابِ النّفاق». «الكذبُ شَيْنُ الأخلاق». (نفس المصدر)

۲. أسلوب النهي: «ايّاكُم و الكِذبَ،فَإنَّ كُلَّ رَاجٍ طَالِبٌ و كُلَّ خَائفٍ هَاربٌ». «ايّاكم و الكذبَ فانّهُ مَعَ الفُجُور و كلاهما في النّار». «ايّاكم وَ الكذِبَ فَانَّهُ يَهْدي الى الفُجُور وَ هُما في النّار».(نفس المصدر)

۳. أسلوب الخبر الطلبي: «انَّ العَاقِلَ لا يكذِبُ و انْ كانَ فِيهِ هَواه». «انَّ الكذِبَ خَرابُ الايمان». «انّ الكذبَ يَهْدي الى الفُجُور».(نفس المصدر)

۴. أسلوب الشرط: «اذا كَذبَ العبدُ تباعد المَلك عنهُ ميلاً من نتَنِ ماجاء بـه». «اذا كَذِبَ العبدُ كِذبةً تباعد منه الملك مسيرة ميلٍ من نتنِ ماجاء به». «من كذبَ كذبةً ذهبَ بهاءُه».(نفس المصدر)

۵. أسلوب الأمر: «تحفّظوا من الكذبِ، فانّه من أدنى الأخلاقِ قدراً و هوَ نوعٌ من الفُحش، و ضربٌ من الدناءة». «جَانِبوا الكذبَ، فانّه مُجانِبٌ للايمان». «اتّقوا الكذْبَ الصّغير منه و الكبير، في كلِّ جِدٍّ وَ هزلٍ، فإنَّ الرَّجل اذا كَذبَ فِي الصَّغير اجتَرَأ عَلَى الكَبير».(نفس المصدر)

۶. أسلوب النفي: «لا شيمة أقبَحُ مِن الكِذبِ». «لاسُوءَ اسوء من الكِذبِ». «لاخيرَ في عِلم الكذّابين».(نفس المصدر)

۷. أسلوب القصر: «يطبعُ المؤمن على الخِلالِ كُلها الّا الخيانة و الكذب».(نفس المصدر)

۸. أسلوب الاستدلال: «ان الرَّجل اذا كَذِب في الصَّغيرِ اجترأ عَلَى الكَبير». بعد قوله: «اتَّقُوا الكِذبَ الصَّغير مِنه والكَبيرَ، فِي كُلِّ جِدٍّ وَ هَزلٍ». (نفس المصدر) فانّه يستدل بالأوّل على الثاني.

۹. أسلوب الحوار: «عن حسن بن محبوب قال: قلت لأبي عبدالله (ع) يكون المؤمن بَخيلاً؟

ـ نعم!

ـ فَيَكُون كَذّاباً.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

ـ لا، ولا خائناً!

ثم قال: يُجبل المؤمن على كُلّ طَبيعة الّا الخيانة والكذب». (نفس المصدر)

١٠. **أسلوب التصوير الاستعاري**: «انّ الله عزّوجل، جعل للشرّ أقفالاً و جعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب، و الكذب شرٌّ من الشراب». «جُعِلَت الخبائث في بيتٍ و جُعِلَ مِفتاحُه الكَذِب». (نفس المصدر)

١١. **الأسلوب الفرضي**: «انّ علياً (ع) كان يقول: لأن يخطفني الطّير أحبُّ اليّ من أن أقولَ على رسول الله (ص) ما لم يَقُل». (نفس المصدر)

١٢. **أسلوب التكرار للتوكيد**: «ويلٌ لِلذي يُحدّث فيكذب، ليضحك به القوم، ويلٌ لَهُ، ويلٌ له». (نفس المصدر)

١٣. **أسلوب الدعاء**: نفس الحديث السابق، باعتبارة يدعو على من يكذب فقوله (ع): «ويلٌ...» دعاء على الكاذب لاثارته اعجاب الآخرين و اضحاكهم.

١٤. **أسلوب التقديم والتأخير**: «أقلُّ النّاس مُروّةً من كان كذّاباً». «فَسَاد البَهاء الكِذبُ». (نفس المصدر)

فلاحظنا كيف أنّ المعصومين (ع) يحذرون من هذا الخُلق المشين بأساليب شتى لكل منها جمالها، و لاغرو في ذلك لأنّ الحال و المقام ظاهرتان ينبغي أخذهما بعين الاعتبار عند ارسال الكلام، و هذا الوعي منهم ينمّ عن بلاغتهم.

المصادر و المراجع

الصحيفة السجادية.

نهج البلاغة.

البستاني، محمود. البلاغة في ضوء المنهج الاسلامي. ايران ـ مشهد: مجمع البحوث الاسلامية.

الحر العاملي، محمدبن الحسن. ١٤١٢ هـ ق. وسائل الشيعة. طبع ٥ بيروت: دارالاحياءالتراث العربي.

الشیخ الصدوق. الخصال. قم: منشورات جامعة المدرسین.

الکلینی، محمدبن یعقوب. ۱۴۱۳ هـ. ق (أ). فروع الکافی. بیروت: منشورات دارالاضواء.

_____. ۱۴۱۳ هـ ق. (ب). اصول الکافی. بیروت: منشورات دارالاضواء.

المجلسی، محمدباقر. ۱۴۰۳ هـ ق. بحارالانوار. طبع ۲. بیروت: دارالاحیاءالتراث العربی.

المحمدی الری شهری، محمد. میزان الحکمة. مکتبة الاعلام الاسلامی.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی